# طبيعة الصناعة النحوية واللغوية والمعجمية
# فى القرنين الثامن والتاسع الهجريين

## بحث بقلم

**أ.د / محمد عبدالله سعادة**

**أستاذ ورئيس قسم اللغويات**

**بكلية الدراسات الإسلامية والعربية بالإسكندرية**

# طبيعة الصناعة النحوية واللغوية والمعجمية
# فى القرنين الثامن والتاسع الهجريين

شبت الاضطرابات فى بلاد الأندلس، وقد استوى على ملك الأندلس بنو الأحمر الذين يؤثرون الأدب على النحو، فدعا الأمراء علماء النحو فى الأندلس إلى الهجرة إلى القطرين مصر والشام، ونزحوا إليهما، ولولا العلماء الذين رحلوا إلى مصر والشام من بلاد المغرب ومعهم أغلب مؤلفاتهم لفات العالم العربى قسط كبير من هذا العلم.

وكذلك رحل المشارقة إلى مصر والشام كما رحل الأندلسيون والمغاربة فالتقى علماء المشرق والمغرب بعلماء القطرين مصر والشام.

وجاء القرن الثامن الهجرى وقد جرح العالم الإسلامى مما أحدثه المغول من تخريب وتشريد، فالخطر يحدق بالمسلمين من كل جانب، واستطاع المسلمون أن يوجدوا لأنفسهم نهضة علمية حالت بينهم وبين الدماء والانهيار.

والمتصفح لكتب التراجم والأعلام الخاصة بالقرن الثامن يهوله كثرة العلماء فى هذا القرن: من أمثال ابن آجروم(١)، ت.٧٢٣هـ، ابن تيمية شيخ الإسلام، ت. ٧٢٨هـ بدمشق، أبى حيان، ت. ٧٤٥هـ، ابن القيم الجوزية، ت.٧٥١هـ، ابن هشام، ت. ٧٦١هـ، ابن عقيل، ت. ٧٦٩هـ، ابن كثير، ت. ٧٧٤هـ، صاحب البداية والنهاية، وتفسير القرآن العظيم، ابن الصائغ(٢)، ت. ٧٧٦هـ، ناظر الجيش ٧٧٨هـ، الشاطبى، ت.٧٩٠هـ.

---

(١) له المقدمة التى ترجمت إلى عدة لغات، وتناولها كثير من الأعلام، ومن أشهر شروحها شرح الشيخ حسن الكفراوى، ت.١٢٠٢هـ.

(٢) له فى النحو: التذكرة، وشرح على ألفية ابن مالك.

ومن علماء القرن التاسع الهجرى: ابن جماعة، ت.٨١٩هـ، الدمامينى[١]، ت.٨٢٧هـ، ابن حجر العسقلانى، ت.٨٥٢هـ، صاحب الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة، والشمنى، ت. ٨٧٢هـ، الكافيجى[٢]، ت. ٨٧٩هـ، الجامى[٣]، ت.٨٩٨هـ، الأزهرى، ت.٩٠٥هـ، السيوطى، ت.٩١١هـ، الأشمونى، ت.٩٢٩هـ.

وتتابع الحوادث فى هذين القرنين، وتقلبات الليالى والأيام جعل علماء المسلمين يرصدون هذه الحوادث بدقة، لتتخذ من ذلك الأجيال اللاحقة دروساً وعبراً، فظهر المؤرخون العمالقة أمثال: ابن كثير فى موسوعة "البداية والنهاية"، وابن خلدون مفخرة العرب فى دائرة معارفه الكبرى المسماة: "العبر وديوان المبتدا والخبر فى تاريخ العرب والعجم والبربر".

**ومن علماء القرن التاسع** : الشريف الجرجانى صاحب التعريفات، وشرح على الكشاف للزمخشرى، كتاب التعريفات واسع الشهرة، كثير التداول أفاد منه كل من عنى من المتأخرين بالدراسات اللغوية، وبخاصة الذين يقومون بتتبع مسار حياة الألفاظ العربية، كيف تنشأ وتعيش، وتتغير دلالتها بمقتضيات الحضارة، وتطور المعارف الإنسانية.

وقد كان من مظاهر النشاط النحوى فى هذين القرنين شيوع التدرج والتنويع فى المؤلفات؛ لاختلاف قدر المتلقين والطالبين لهذه العلوم، من مبتدئ ومتوسط ومتعمق، فجمعوا فيها بين الوجيز والوسيط والبسيط، وذلك حباً فى تعميم النعم كما

---

(١) له شرح على التهسيل، وشرح المغنى لابن هشام.

(٢) ولد فى بلاد الروم، ودخل الشام، واستقر فى القاهرة، وأكثر مؤلفاته مختصرات وأنفعها: شرحه على قواعد الإعراب لابن هشام، والسيوطى، من تلاميذه.

(٣) شرح كافية ابن الحاجب وسماه: الفوائد الضيائية نسبة لولده ضياء الدين، وعنى العلماء بشرح الجامى فعليه حاشية لعصام الدين.

فعل ابن هشام. وأخذ المؤلفون فى هذين القرنين ينشئون المتون، ويحاولون إيجازها، ومن هنا ظهرت الحاجة إلى الشروح والحواشى، وأقرب مثال على ذلك: توضيح ابن هشام (شـــرح الألفية) ففيه انسجام فى تركيب المعلومات، وتنسيق فى ضم القواعد المتصلة بعضها ببعض، ونحو: التصريح بمضمون التوضيح للشيخ خالد الأزهرى وشرح الآجرومية، وشرح قواعد الإعراب لابن هشام، وكذلك ظهر فن الإعراب مثل: إعراب الألفية لخالد الأزهرى.

وكذلك المغنى لابن هشام قد تبارى العلماء فى التعليق عليه منذ ظهر فشرحه ابن الصائغ ومسمى شرحه: (تنزيه السلف عن تمويه الخلف) وشرحه الدمامينى، وسماه: "تحفة الغريب بشرح مغنى اللبيب"، وفى هذا الشرح اعتراضات على المغنى كثيرة، تعقبها الشمنىِّ، ت.٨٧٢هـــ، فى حاشيته عليه المسماة: المنصف من الكلام على مغنى ابن هشام، وللسيوطى حاشية على المغنى.

ويمكن أن نقول إن سمة العلوم فى هذين القرنين هى جمع المعلومات من الكتب المتقدمة، وكذلك نظم المتون، وشرح المنظومات والتعليق عليها بالشرح والحواشى، ومن أمثلة ذلك: شرح الكافيجى للقواعد الكبرى لابن هشام، وكتاب التذييل والتكميل فى شرح التسهيل لأبى حيان، وملخصه: ارتشاف الضرب، وكان على مذهب ابن الصائغ فى منع الاستشهاد بالحديث، وقد ظهر أن المؤلفات فى هذين القرنين بشروحها وحواشيها تجلى فيها كثرة بيان اللهجات العربية لكثير من الكلمات مما ينتسب إلى فقه اللغة، وتجلى كذلك التعليل والتوجيه لتضارب الآراء النحوية فى كتب العلماء، ويظهر أن الذى حملهم على الإكثار من المتون حبهم فى سرعة تلافى ما ضاع من كتب النحو، والمتون كفيلة بجمع ما كثر من القواعد فى عبارة موجزة، ولكى يسهلوا على الراغبين فى العلم شرحوا هذه المتون، وظهرت بعدها الحواشى، ولذا سمى عهد المماليك بعهد المتون والشروح.

وكان هناك فى هذين القرنين علماء كل مؤلفاتهم شروح وحواشى، فهذا الشيخ خالد الأزهرى قد لازم الشمنى وغيره، وأقرأ الطلاب بالأزهر، فنسب إليه، ومن مؤلفاته: شرحه على كتاب ابن هشام، الإعراب عن قواعد الإعراب، وشرح على الآجرومية، وشرحه على الألفية، والتصريح بمضمون التوضيح، وكذلك الأشمونى، ت.٩٢٩هـ، كان أولع المؤلفين بجمع المعلومات فى شرحه، فأخذ عن الكافيجى وغيره من نحاة عصره فى القاهرة، ومن أهم مصنفاته النحوية شرحه على الألفية الذى سماه: منهج السالك، وقد برع فى شرحه عمن سبقه، فكان يعرض الآراء المختلفة وما يسندها من علل.

والمرادى، ت.٧٤٩هـ، من مصنفاته: شرح المفصل، وشرح التسهيل، وشرح الألفية، والجنى الدانى فى حروف المعانى، وقد أفاد ابن هشام فى المغنى من الجنى الدانى.

ومن أمثلة ذلك أيضاً الشروح على الألفية بعد شرح ابن الناظم، ولما تعقب ابن الناظم أباه كثيراً تصدى له الشارحون من بعده أمثال: ابن هشام وابن عقيل والأشمونى، ولما كان شرح ابن الناظم مغلقاً كثرت الحواشى عليه، فكتب عليه ابن جماعة، والعينى والسيوطى وزكريا الأنصارى، وابن قاسم العبادى وغيرهم.

وكانت الصنعة النحوية فى هذين القرنين تهتم بدراسة الأحكام التركيبية للكلمة، وهى التى يحتاج إليها المتكلمون لإصلاح اللسان، كما قال أبو حيان فى كتابه: النكت الحسان، أما الأحكام الإفرادية فتوجد فى علم التصريف على الرغم من أنها متقدمة على معرفة التراكيب، إلا أنها لم تحظ فى هذين القرنين بعناية كما حظيت بها فى القرون الأولى؛ لأن الألفاظ التركيبية يدرك بها ما يرفع وينصب ويجر ويجزم، وذلك كاف فى التكلم بلغة العرب، أما التصريف كمعرفة التصغير والنسب والتكثير والتثنية والجمع والقلب والإدغام فليس مثل الاحتياج إلى التراكيب.

## فنون الرسائل

ظهر فى هذين القرنين فن الرسائل، وهو مؤلف صغير من بضع صفحات فى إعراب جملة، أو إعراب آية، أو إعراب كلمة، أو بيان تركيب نحوى، وغير ذلك.

ومن هذا: رسالة ابن هشام فى انتصاب :لغة وفضلا وإعراب: خلافاً وأيضاً وهلم جرا، وهى بكمالها موجودة فى الأشباه والنظائر للسيوطى، ورسالة فى استعمال المنادى فى تسع آيات من القرآن لابن هشام موجودة فى مكتبة برلين، ورسالة: فوح الشذا فى مسألة كذا، وهو شرح لكتاب: الشذا فى مسألة كذا لأبى حيان، وموجود أيضاً فى الأشباه والنظائر، وكذلك: المسائل السفرية فى النحو، وهى إجابات عن مسائل سئل عنها ابن هشام فى أسفاره، وحققه الدكتور حاتم[1] الضامن ١٤٠٣هـ

كما ظهرت مؤلفات فى موضوعات معينة، مثل: مسألة اعتراض الشرط على الشرط لابن هشام، وهى مسألة نحوية لم توفها حقها كتب النحو، فجاء ابن هشام وألف فيها منفردة، وقد يدل ذلك التأليف فى هذه المسائل المنفردة الخاصة أن النحاة استوفوا المسائل العامة للغة وبقى هذه الألفاظ المفردة التى يحتاج إليها المتحدثون وقد يشكل عليهم استعمال الصواب فيها. فجاء العلماء يؤلفون فيها لبيان أصلها من جهة الصواب وعدمه، فقد ألف ابن هشام رسالة فى كاد وأخواتها، ورسالة فى التنازع ورسالة فى أحكام لو وحتى.

(١) كما حققه د./ على البواب ٢٠٠٠م، والمسائل السفرية سبع وأربعون مسألة، سئل المؤلف عن أكثرها فأجاب، وعرض بعضها دون أن يسأل عنها. وتدور المسائل حول مشكلات نحوية من القرآن الكريم، وتوجيه قراءات قرآنية، وإعراب ألفاظ من الآيات وتوجيه بعض الأحاديث الشريفة. وقد ألفه ابن هشام كما نص فى آخره عام ٧٤٧هـ..

## التراجم

برز فى هذين القرنين أيضاً فن التراجم، فقد ألف الفيروزأبادى البلغة فى تراجم أئمة النحو واللغة، وقد رتبه حسب حروف المعجم، واعتمده المصنفون من بعده، ونقل عنه السخاوى فى الضوء اللامع، ومن ذلك ما صنف حسب العصور مثل كتاب: الدرر الكامنة فى أعيان المئة الثامنة، لابن حجر العسقلانى،وكتاب: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، للسخاوى، وألف الفيروزآبادى أيضاً: "المرقاة الوفية فى طبقات الحنفية"، وطبقات الشافعية، والألطاف الخفية فى أشراف الحنفية، ورسالة فيمن نسب لغير أمه، نشرها عبد السلام هارون فى نوادر المخطوطات.

وقد صنفت كتب كثيرة فى طبقات وتراجم الأدباء والنحويين واللغويين والفقهاء والمفسرين، ومن ذلك ما شمل فئة من الرجال اختصت بعلم معين وإن تفرقت فى أرجاء العالم الإسلامى، ومنها ما خص قطراً بعينه بترجمة رجاله، وقد اختلفت مناهجهم فى ذلك فمنهم من التزم البدء بأسماء المحمدين تكريما للرسول ﷺ، وأتبعهم بأسماء الآخرين مرتبة حسب حروف المعجم، كما فعل السيوطى فى بغية الوعاة، ومنهم من التزم الترتيب المعجمى من بدء الكتاب حتى آخره، كما فصل الفيروزأبادى فى كتاب البلغة.

## شرح القصائد

ظهر أيضاً فن شرح القصائد مثل: لامية العجم للطغرائى المنعوت بالأستاذ الوزير، فقد شرحها صلاح الدين الصفدى، وسماه: الغيث المنسجم فى شرح لامية العجم وشرحها ابن جماعة النحوى، ت. ٧٣٣هـ، ويوسف المالكى، ت.٧٥٠هـ، وشرحها الدمامينى، ت.٨٢٨ هـ، بعنوان: نزول الغيث، وهى اعتراضات على شرح الصفدى، وشرحها زكريا الأنصارى، ت. ٩١٠هـ.

**ومطلع لامية العجم:**

**أصالة الرأى صانتنى عن الخطل ∴ وحلية الفضل زانتنى لدى العطل**

وهى من بحر البسيط، وأول من سمى هذه القصيدة بلامية العجم هو ياقوت الحموى. والطغرائى هو الحسين بن على ولد ٤٥٣هـ، من أسرة عربية تنتمى إلى أبى الأسود الدؤلى. وسميت لامية العجم تشبيهاً لها بلامية العرب للشنفرى الأزدى؛ لأنها تشابهها فى حكمها وأمثالها، ومطلعها:

**أقيموا بنى أمى صدور مطيكم ∴ فإنى إلى قوم سواكم لأميل**

وقد سميت بذلك؛ لأن الطغرائى أعجمى المولد، ومولده بأصفهان، فلا تتعارض عروبة نسبه مع أعجمية موطنه.

وكذلك شرح قصيدة بانت سعاد لابن هشام، وهى لكعب بن زهير، ومختصر شرح بانت سعاد لتلميذ ابن هشام وهو إبراهيم اللخمى الشافعى، ت. ٧٩٠هـ، وكذلك شرح البردة لابن هشام وهى قصيدة للبوصيرى ١٦٢ بيتاً.

## الموشحات الأندلسية فى القرنين الثامن والتاسع

ذكر المقرى عن أعيان العصر أنه كان لأبى حيان[1]، الأندلسى نظم ونثر، وله الموشحات البديعة، وهو عارف باللغة ضابط لألفاظها.

ولأبى حيان موشحتان معروفتان:

الأولى عارض بها شمس الدين التلمسانى فى موشحته:

**قمر يجلو دجى الغلس ∴ بهر الأبصار مذ ظهرا**

وأول موشحة أبى حيان:

**عازل فى الأهيف الأنس ∴ لو رآه الناس قد عذرا**

ونهايتها:

**نصب العينين له شركا ∴ فانثنى والقلب لى ملكا**

(١) فوات الوفيات ٢٨٢/٢.

**والموشحة الثانية أولها:**

**إن كان ليل داج ∴ وخاننا الإصباح**

**فنـــورهـــا الـــوهـــــاج ∴ يغنـــــى عـــــن الصبـــاح**

وكذلك لسان الدين بن الخطيب فى موشحته التى أولها:

**جاءك الغيث إذا الغيث همى ∴ يا زمان الوصل بالأندلس**

**لـــم يكن وصـــــلك إلا حلمـــا ∴ فى الكـــــرى أو خلسة المختلس**

وهى أشهر موشحات[1] ابن الخطيب الذائعة الصيت.

وكان ابن الخطيب أعظم مفكرى الأندلس، وأبلغ شعرائها وكتابها فى القرن الثامن الهجرى فى ظل مملكة غرناطة، والتقى ابن خلدون، وكان كلاهما أستاذ عصره فى الفكر والكتابة، وكان ابن خلدون يشغل فى دولة المغرب المركز نفسه الذى يشغله ابن الخطيب فى الأندلس، ومن أشهر أعمال ابن الخطيب رسائله السلطانية التى كان يكتبها عن حوادث عصره، والتى كان يحث فيها أهل الأندلس على الجهاد.

## طبيعة الصناعة المعجمية فى القرنين الثامن والتاسع الهجريين

فى القرن الثامن الهجرى ظهر معجم لسان العرب لابن منظور (٦٣٠ – ٧١١هـ) وكان هدفه أمرين فى تطوير صناعة المعجم. الأول: الاستقصاء للمادة اللغوية، والثانى: الترتيب، وذكر ذلك فى مقدمة معجمه، وذكر أن المعاجم السابقة عليه لا تعنى إلا بواحد منها. فالتهذيب للأزهرى، والمحكم لابن سيده، هدفهما استقصاء اللغة، والصحاح هدفه، ترتيب المفردات، فأراد ابن منظور أن يجمع الأمرين، وهما: الاستقصاء والترتيب.

(١) نفح الطيب ١٩٨/٤، الموشحة تتألف فى الأكثر من ستة أقفال وخمسة أبيات، أما موشحة (جاءك الغيث)، فهى فى أحد عشر قفلاً، وعشرة أبيات.

وظهر كذلك: المصباح المنير للفيومى، ت.٧٧٠هـ، وقال فى مقدمته: جمعت كتابا فى غريب شرح الوجيز للإمام الرافعى، وأوسعت فيه من تصاريف الكلمة، وأضفت إليه زيادات من لغة غيره، ومن إعراب الشواهد وبيان معانيها.. .. فأحببت اختصاره على النهج المعروف، والسبيل المألوف ليسهل تناوله، ويقصر تطاوله، (وسميته المصباح المنير فى غريب الشرح الكبير).

وظهر كذلك فى آخر القرن الثامن وأول القرن التاسع معجم القاموس المحيط للفيروزآبادى، ت. ٨١٦هـ، وذكر هدفه فى مقدمته وهو الجمع والاستقصاء فقال: وأسميته القاموس المحيط؛ لأنه البحر الأعظم، ودارت حوله دراسات كثيرة ومتنوعة نذكر منها: القول المأنوس بشرح مغلق القاموس، لمحمد بن يحيى المعروف ببدر الدين القرافى المصرى، ألفه عام ٩٧٠هـ.

ومنها: شرح خطبة القاموس لمحمد بن عبد الرؤف المناوى، ت. ١٠٣١هـ، ومنها: الدر اللقيط فى أغلاط القاموس المحيط، لمحمد بن مصطفى الداودى المعروف بداود زادة، ت.١٠١٧هـ.

ومنها: الحابوس على القاموس لأحمد فارس الشدياق،ت.١٣٠٥هـ، الذى اتخذه صاحبه صورة لنقد القاموس المحيط، متخذا منه مثالا لعيوب المعاجم العربية عامة التى كانت من أسباب رمى اللغة بالانحطاط والتأخر، وعدم ملاءمة العصر الحديث، وتفضيل اللغات الأجنبية عليها، وكان القاموس أشهر معجم بين يدى أهل العصر فهاجمه الشدياق بعنف، ليبين أن العيب منه وأمثاله، لا من اللغة، واتخذ من هذا الهجوم وسيلة لإظهار حاجتنا إلى معجم حديث يسهل البحث فيه.

ومنها: إضاءة الراموس وإفاضة الناموس على إضاءة القاموس، لأبى عبد الله محمد بن الطيب المتوفى ١١٧٠هـ، وكان هذا الإمام يرمى إلى هدفين: أولهما الرد على نقود صاحب القاموس المحيط للصحاح، والثانى: شرح غوامضه

واصطلاحاته، وكان الناس فى أشد الحاجة فى عهده إلى من يقوم بتحقيق هذين الهدفين.

فالصناعة المعجمية كانت فى هذين القرنين تصحيحاً وإكمالاً وتصويباً، لما سبق منها ولذلك يقول الفيروزآبادى فى مقدمة القاموس: "ولما رأيت إقبال الناس على صحاح الجوهرى، وهو جدير بذلك غير أنه فاته نصف اللغة أو أكثر إما بإهمال المادة، أو بترك المعانى القريبة أردت أن يظهر للناظر فضل كتابى هذا عليه".

فالقاموس زاد على الصحاح مثل ما فيه، وأخذ عليه فى كثر من المواضع، وبين أغلاطه وأوهامه.

وكانت الصناعة المعجمية فى هذين القرنين أيضاً تتصف بأنها معاجم للبلدان والرجال فى ثنايا المادة المعجمية.

ثم ظهر كتاب بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز، وهذا الكتاب قمة الدراسات فى غريب القرآن؛ حيث زاد على ما قدمه الراغب الأصفهانى فى كتابه المفردات فى غريب القرآن، وهذا الكتاب يعد المعجم اللغوى الأكبر لمواد القرآن الكريم إلى جانب الدراسات الأخرى التى أتى بها.

ولم تكن الصناعة المعجمية فى هذين القرنين تدل على الابتكار، بل كانت تنظيماً وجمعاً وترتيباً لما سبق. فابن منظور جمع مادة كتابه: لسان العرب من خمسة كتب: تهذيب الأزهرى، ومحكم ابن سيده، وصحاح الجوهرى، وحواشى ابن برى، ونهاية ابن الأثير فجمع ابن منظور هذا الشتات المفرق فى خمسة من المراجع الكبيرة، ويعد لسان العرب ثانى اثنين فى دنيا المعاجم العربية، وهو من أشمل المعاجم للألفاظ ومعانيها.

## نماذج ثلاثة من هذين القرنين

**أبو حيان ت. ٧٤٥هـ:**

ألف أبو حيان للمبتدئين كتاب: (غاية الإحسان فى علم اللسان)، وهى مقدمة فى النحو الصرف على مذهب البصريين، وكان معجبا بمقدمته فسارع إلى شرحها، والإطالة فيها على مذهب كل النحويين، واعتمد كثيراً على آراء الأندلسيين.

وقد ألف أبو حيان كتبا باللغات[1] التركية والفارسية والحبشية، فقد ألف: زهو الملك فى لسان الترك، والإدراك للسان الأتراك، وكتاب: منطق الخرس فى لسان الفرس، ونور الغبش فى لسان الحبش، وكانت مؤلفات أبى حيان تشمل إلى جانب النحو علوم اللغة والأدب والتفسير، وكان يخص أهل اللغة أمثال أبى زيد الأنصارى، والأصمعى، وثعلب، وابن الأنبارى.

وقد ازدهرت المدرسة المصرية فى العصر المملوكى بما أتاحه لها أبــن هشام من قدراته العقلية البارزة، وإحاطته بآراء النحاة السابقين، وقدرته الفائقة فى مناقشة آرائهم، وقد أكب أبو حيان على علوم الحديث والقراءات والتاريخ، ولزم ابن النحاس تلميذ ابن مالك وأخذ عنه كتبه وكان يعنى فى دراسته بكتب سيبويه وابن مالك وابن عصفور، ويتضح ذلك مما أملاه عليها من شروح، وكان على مذهب ابن الضائع فى منع الاستشهاد بالحديث، وكان ظاهرى المذهب، وظل المذهب الظاهرى عالقاً به كما فعل ابن مضاء، ولكنه لم يدعه إلى إلغاء نظرية العامل فى النحو، بل دعا مراراً إلى إلغاء ما يتعلق به النحاة من كثرة التعليل للظواهر اللغوية والنحوية وجلب التمارين غير العملية، ونقل السيوطى فى الهمع تعرضه لذلك فى غير موضع، فقد علق على خلاف البصريين والكوفيين فى الإعراب، هل هو أصل فى الأسماء فرع فى الأفعال أو لا؟ فقال: هذا من الخلاف الذى ليس فيه كبير منفعة، وقال فى موضع آخر: تعليل أمثال ذلك من الوضعيات ينبغى أن يمنع؛ لأنه يؤدى

(١) بغية الوعاة ٢٨٢/١.

إلى تسلسل السؤال. ويقول: هذا خلاف لا طائل تحته، أو الأولى الإضراب عنه، ويقول وهذا الخلاف لا يجدى كبير منفعة.

ولما كان ابن مضاء يدعو إلى إلغاء القياس مستضيئاً بإلغاء المذهب الظاهرى له، مضى أبو حيان فى إثره يقدم السماع على القياس وخاصة إذا تعارضا على نحو بعض القراءات المخالفة للقياس مثل: العطف على الضمير المجرور المتصل دون إعادة الخافض.

**ابن هشام:**

أخذت الدراسات النحوية تنشط فى مصر نشاطاً واسعاً منذ عصر ابن هشام كما أخذ يتزايد واضعو الشروح والحواشى على مصنفات ابن هشام وابن مالك ومن ذلك ابن عقيل، ت.٧٦٩هـ، وكان يعنى بالقراءات والتفسير والأصول والفقه، وله شرح على تسهيل ابن مالك، وشرح على الألفية، وعنى به كثيرون فكتبوا عليه حواشى، منها حاشية الخضرى، ويمتاز هذا الشرح بوضوح العبارة وقربها من أذهان الناشئة.

**مغنى اللبيب:**

اختط له ابن هشام منهجاً لم يسبق إليه. إذ لم يكتبه على أبواب النحو المعروفة بل جعله قسمين كبيرين، قسماً للحروف والأدوات وضح وظائفها، وطرق استخدامها مع عرض جميع الآراء المتصلة بها. وقسماً لأحكام الجملة وأقسامها المتنوعة، وخصائص الأبواب النحوية، وصور العبارات الغريبة، مع ذكر القواعد الكلية التى تبرز أسرار العربية وطبع هذا الكتاب مع شرحين أو حاشيتين للأمير والدسوقى.

وتجلى فى كتاب المغنى سمة التأليف فى هذين القرنين، وهى عدم التعصب لأحد مذهبى البصرة والكوفة، بل اتباع ما يوازن بين المدرستين واختيار ما يوافق مقاييس النحاة مع القدرة على التوجيه والتعليل والتخريج.

ولما كانت سمة هذين القرنين كثرة الشروح والحواشى فقد ظلت الدراسة النحوية مزدهرة فى العصر العثمانى بعد ذلك على تلك الصفة فى القرن الحادى عشر. مثل الشنوانى، ت.١٠١٩هـ، والدنوشرى ١٠٢٥هـ، والشيخ يس، ت.١٠٦١هـ، وفى الثانى عشر الشيخ محمد الأمير، ت. ١١٨٨هـ، والشيخ الصبان، ت. ١٢٠٦هـ، ثم أهم الحواشى التى ألفت بمصر حاشية الشيخ محمد الخضرى على ابن عقيل، ت.١٨٧٠هـ.

**السيوطى،ت.٩١١هـ**

أغزر العلماء المصريين فى عصرة تأليفاً فى التفسير والحديث والفقه والتاريخ والتراجم والنحو اللغة، ومن أهم كتبه اللغوية كتاب المزهر فى علوم اللغة وهو يضم مباحث واسعة فى فقه العربية، ولا يستغنى عنه باحث، وقد بين السيوطى أنه ابتكر تركيبه، واخترع تبويبه فى علوم اللغة وأنواعها وشروط أدائها وسماعها، وقد حاكى به علوم الحديث فى التقسيم والأنواع وقسم السيوطى كتابه المزهر إلى خمسين نوعاً ذكرها فى مقدمته.

وله فى النحو: شرح مغنى ابن هشام، وشرح شواهده، وكتاب الاقتراح فى أصول النحو، وألفه على هدى كتاب الخصائص لابن جنى، وعلى هدى كتاب لمع الأدلة، ويتناول فى كتابه: السماع والإجماع والقياس والاستصحاب والأدلة والتعارض والترجيح.

وله الأشباه والنظائر، وفيه يطبق على العربية المنهج الذى اتخذه الفقهاء فى مصنفاتهم للأشباه والنظائر فى الفقه قائلا إنه وضع كتابه فى العربية على ضوء كتاب القاضى تاج الدين السبكى.

وله فى النحو والتصريف: همع الهوامع، وهو موسوعة ضخمة لآراء النحاة من بصريين وكوفيين وبغداديين وأندلسيين ومصريين جمعها من نحو مائة مصنف لعل أهمها: ارتشاف الضرب لأبى حيان.

وبعد هذا العرض للعلماء والكتب فى ظل الأحوال السياسية فى هذين القرنين يتضح لنا أن الصناعة النحوية واللغوية والمعجمية كانت مبنية على الأساس الذى وضعه العلماء قبل هذين القرنين، ثم أضيف لها تجديد وتنويع وتقسيم لم يكن موجوداً من قبل، كما ظهر فى مؤلفات ابن هشام والسيوطى، ظهرت مؤلفات فى ما سمى بالرسائل الصغيرة، وهذا شىء مستحدث، الاتجاه إلى عدم التقيد بمذهب وهذا شىء جديد، شيوع فن الأشباه والنظائر، كما فعل السيوطى اقتداء بما فعله الفقهاء، وبرز أيضاً فن الجمع والاستقصاء، كما فى كتاب شرح الأشمونى على الألفية، وظهرت الحواشى والتعليقات على الحواشى، والشروح على المتون، والنقد على الشروح، كل هذا لا يتم إلا إذا اكتمل بنيان النحو واللغة فأخذوا بعد ذلك فى النقد والتحليل والتوجيه.

❁❁❁❁❁❁

**هذا ما فتح الله به ومن علينا بفضله، وهو الموفق**

**أ.د/ محمد عبد الله سعادة**